# المخطوطات العربية في طشقند(1)

محمود الأرناؤوط

لا يخفى على الدارسين أمر تفرق المخطوطات العربية في جميع بلدان العالم وبنسب مختلفة تتبع أهمية كل دولة ودورها في صنع الحضارة العالمية في الأزمان السَّالفة، ومعلوم بأن رقعة الدولة الإسلامية قد امتدت إلى مشرق الأرض ومغربها، ووصلت جيوش الفاتحين إلى شمال آسيا وأواسطها، بعد أن تمكن حالها واشتد عودها في غربها، كما وصلت إلى شمال إفريقيا وأواسطها، وانتشرت العربية- التي هي لغة دين الإسلام- في الحواضر القديمة لتلك المناطق بسبب انتقال الدُّعاة وتأسيس المدارس العلمية فيها على مدى قرون عدة، وتبع ذلك الأمر حركة ناشطة في التأليف والبحث والترجمة، وعلى الخصوص في بلاد ما وراء النهر[2] التي شهدت حركة علمية رفيعة المستوى، وظهرت إلى الوجود مؤلفات علمية وأدبية ودينية بالعربية على أيدي أبناء تلك المناطق الواسعة أثرت المكتبة العربية وأسهمت في حركة التأليف بالعربية في تلك العصور بنصيب وافر، وصارت أسماء العلماء الذين ينتمون لتلك المناطق مذكورة على كل شفة ولسان في عالم الإسلام، وفي منتديات التأليف والبحث على وجه الخصوص، ومن يطالع كتب التراجم ويبحث فيها يجد مصداق ذلك بين يديه، فالثقافة العربية انتشرت انتشاراً واسعاً بين أهل تلك المناطق، بل إن العربية كانت لغة التعليم والتأليف فيها لأنها كانت بحق اللغة الأهم بين لغات العلم والمعرفة التي عرفها الإنسان في القرون الهجرية الستة الأولى[3]، ولابد من الإشارة إلى أن بعض المخطوطات العربية الموجودة في معظم بلاد آسيا الوسطى قد انتقلت إليها من بغداد ودمشق والقاهرة وسواها من الحواضر الإسلامية الكبرى عن طريق تجار الكتب في تلك الأزمنة، كما انتقلت نسخ من مؤلفات

(1) سبق للكاتب التعريف بالمخطوطات العربية في ألمانيا من خلال كتاب أصدرته دار الفكر بدمشق عام ١٩٩٣.

(2) أي نهر جيحون ويقع معظمها الآن في جمهورية أوزبكستان.

(3) تنظر مقالتنا(عالمية اللغة العربية) في العدد الخاص باللغة العربية واللغات الأخرى من مجلة التراث العربي رقم (٧١).

علماء بلاد ما وراء النهر إلى تلك الحواضر العريقة بالطريقة ذاتها، لأن تجارة الكتب كانت من التجارات الناشطة وكان يمارسها في الغالب علماء أفاضل يعرفون قيمة الكتاب والكاتب، كصاحب "الفهرست"[٤] وصاحب "عيون التواريخ"[٥] وغيرهما من الأعلام، وكان هواة جمع الكتب واقتنائها -علاوة على أهل العلم والأدب- من أرباب الحكم والسلطان، كهارون الرشيد، وولده المأمون[٦] مما أدى إلى ظهور عدد من المكتبات العامة والخاصة[٧].

وفي العصر الحديث جرى تجميع مخطوطات المدن الصغرى في مكتبات المدن الكبرى من بلاد ما وراء النهر فكان نصيب خزانة المخطوطات الشرقية بمعهد أبي ريحان البيروني[٨] بمدينة طشقند[٩] وافراً، فانتقلت إليها مجموعات كبيرة جداً من المخطوطات العربية، والفارسية والأوزبكية، والطاجيكية، والأوردية، والعثمانية، والتترية، والتركمانية، وغيرها، ولكن أفضل تلك المخطوطات حالاً وأكثرها عدداً هي المخطوطات العربية، وقد كان نصيب تلك المخطوطات الإهمال خلال العقود الكثيرة التي سبقت استقلال جمهورية أوزبكستان التي تحتل طشقند منها موقع القلب باعتبارها عاصمة للبلاد، وأما مرحلة ما بعد الاستقلال فقد شهدت اهتماماً ملحوظاً -وإن لم يكن كافياً- بذلك التراث العلمي والثقافي الضخم الذي تمتلكه تلك الجمهورية الفتية، فسعى القائمون على شؤون معهد أبي ريحان البيروني إلى الاتصال بالجهات المهتمة بالكنوز العلمية العربية الإسلامية في البلاد

---

[٤] هو محمد بن إسحاق النديم البغدادي أبو الفرج المتوفى سنة(٤٣٨هـ - ١٠٤٧م). تنظر ترجمته في "معجم الأدباء" (٦/ ٢٤٢٣) بتحقيق الأستاذ الدكتور إحسان عباس، طبع دار الغرب الإسلامي ببيروت، و"الأعلام" (٦/ ٢٩) للعلامة خير الدين الزركلي(الطبعة السادسة) دار العلم للملايين ببيروت.

[٥] هو محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي الداراني الدمشقي، المتوفى سنة(٧٦٤هـ - ١٣٦٣م). تنظر ترجمته في "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" (٨/ ٣٤٦) بتحقيقي، طبع دار ابن كثير بدمشق وبيروت، و"الأعلام" للعلامة خير الدين الزركلي(٦/ ١٥٦).

[٦] ينظر في هذا الصدد كتاب "تاريخ الكتاب" للباحث الكرواتي الدكتور الكسندر ستيبتشفيتش، ترجمة صديقنا الدكتور محمد موفق الأرناؤوط(٢/ ٢٣٩- ٢٤١) الصادر عن سلسلة عالم المعرفة في الكويت عام ١٩٩٣.

[٧] ينظر في هذا الصدد كتاب "دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط" للأستاذ الدكتور يوسف العش، الذي كتبه بالفرنسية كأطروحة لنيل درجة الدكتوراه من فرنسا، ونقله إلى العربية بعد وفاته، صديقنا الدكتور نزار أباظة والأستاذ محمد الصباغ، ونشرته دار الفكر بدمشق عام ١٩٩١.

[٨] هو محمد بن أحمد البيرُوني الخوارزمي، أبو ريحان، فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم، أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده سنة(٤٤٠هـ = ١٠٤٨م). اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره، وصنف كتباً كثيرة متقنة، رأى ياقوت الحموي فهرسها.عروفي ستين ورقة بخط مكتز، منها((الآثار الباقية عن القرون الخالية)) و((الاستيعاب في صنعة الأسطرلاب)) و((الجماهر في معرفة الجواهر)) و((تاريخ الأمم الشرقية)) و((القانون المسعودي)) و((تاريخ الهند)) و((تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن)) و((تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة)) و((استخراج الأوتار في الدائرة)) وكان من أعظم العلماء الموسوعيين المتخصصين بأنواع الرياضيات. ينظر "الأعلام" للعلامة خير الدين الزركلي(٥/ ٣١٤) و"معجم المؤلفين" للأستاذ عمر رضا كحالة(٣/ ٥٣) طبع مؤسسة الرسالة ببيروت.

[٩] وكان اسمها قديماً(الشاش) وقد خرج منها علماء كبار. ينظر "الأمصار ذوات الآثار" للذهبي بتحقيقي ص(٩٤) طبع دار ابن كثير بدمشق وبيروت.

العربية والدول الإسلامية، فوصلت إلى معهدهم بعثة استطلاعية من مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، وقامت بإعداد فهرس صغير عن منتخبات مما تحتوي عليه خزانة المعهد من المخطوطات العربية، وصوّرت ما أمكنها تصويره من تلك المخطوطات.

وفي شهر اكتوبر من العام الماضي ١٩٩٧ وأثناء وجودي في أوزبكستان تلبية لدعوة كريمة وجهت لي لحضور الاحتفالات التي أقيمت هناك بمناسبة مرور ألفين وخمس مئة عام على إنشاء مدينتي بخارى وخيوة، أتيحت لي فرصة زيارة معهد أبي الريحان البيرُوني، للاطلاع على محتويات خزانته من المخطوطات الشرقية بشكل عام، ومن المخطوطات العربية بشكل خاص، وحاولت الاستفادة من تلك الزيارة بقدر الإمكان، وسجلت في دفتري ما أمكنني تسجيله عن محتويات المكتبة مما يهمني ويهم المشتغلين بالتحقيق والبحث العلمي في الوطن العربي الكبير. ومما يلفت النظر أن معظم المخطوطات المتوافرة في خزانة المعهد كتبت على أيدي نساخ متقنين وبخطوط جميلة مشكولة على الأغلب، ومن جملة ما تحتفظ به خزانة المعهد من المخطوطات العربية، مخطوطات الكتب التالية:

١- الأسرار، لأبي بكر الرازي، المتوفى سنة (٣١١هـ = ٩٢٣م).

٢- بدائع الوقائع، لزين الدِّين واصفي، (لم أقف على سنة وفاته).

٣- تاريخ بخارى، للنرشخي، المتوفى سنة (٣٤٨هـ = ٩٥٩م).

٤- تجارب الأمم، لمسكويه، المتوفى سنة (٤٢٠هـ = ١٠٣٠م).

٥- ديوان محمد بن سليمان الفضولي، المتوفى سنة (٩٦٣هـ = ١٥٥٦م).

٦- عيون المسائل، لأبي اللَّيث السَّمرقندي، المتوفى سنة (٣٧٦هـ = ٩٨٦م).

٧- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم، المتوفى سنة (٢٢٤هـ = ٨٣٨م).

٨- فصوص الحكم، لابن عربي، المتوفى سنة(٦٣٨هـ = ١٢٤٠م).

٩- القانون في الطب، لابن سينا، المتوفى سنة (٤٢٨هـ = ١٠٣٦م).

١٠- معجم البلدان، لياقوت الحموي، المتوفى سنة (٦٢٦هـ = ١٢٢٩م).

وهذه الكتب التي ذكرتها تقدم أنموذجاً عما تحتوي عليه تلك الخزانة العامرة من تراث علماء المسلمين في تلك العصور الزاهرة، رغبة في لفت الأنظار إليها ليُنتفع بها(١٠)، وقد رأيت من المفيد إيراد عدد من الصور التي تخص بعض المخطوطات التي تحتفظ بها خزانة المعهد لتقريب الفائدةمنها بقدر الإمكان، فجاءت هذه الصور لبعض ما ذكرته من المخطوطات في القائمة ولبعض ما لم أذكره منها.

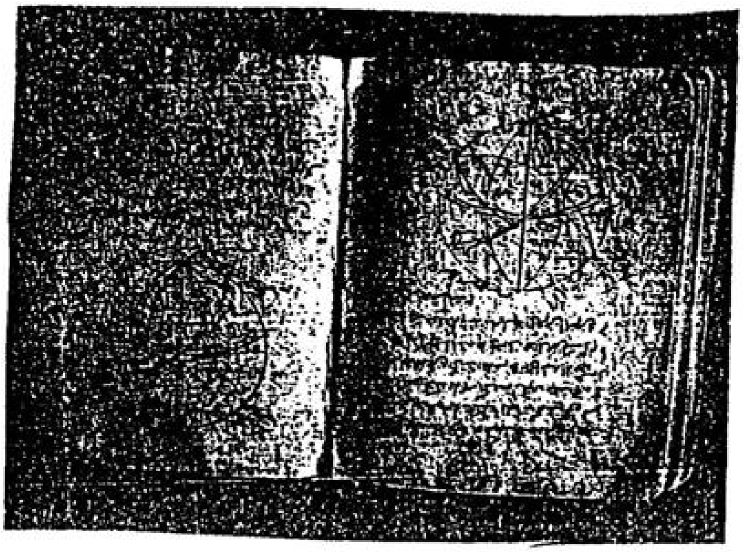
(١٠) ولعل من أهم الكتب التي تحتوي عليها خزانة المعهد مما لم أذكره في القائمة مخطوطة كتاب "تاريخ الرسل والملوك" لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، المتوفى سنة(٣١٠هـ = ٩٢٢م).



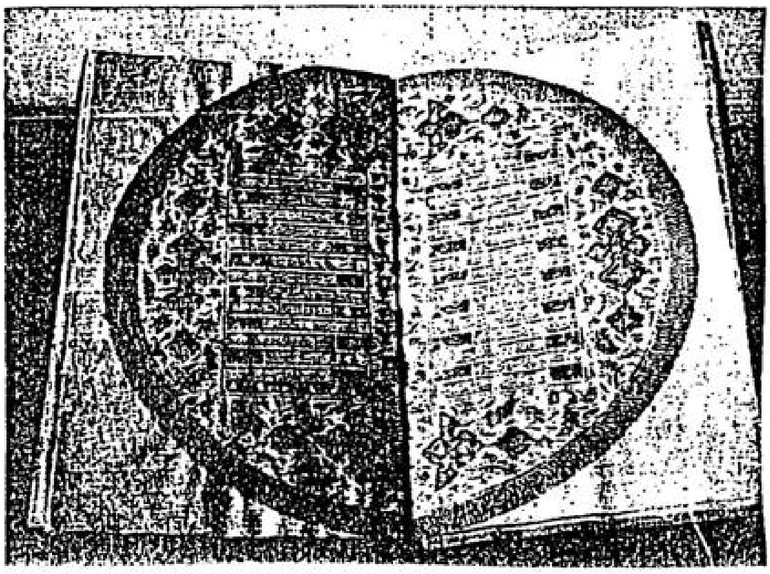
صورة ورقة من كتاب تجارب الأمم
لمسكويه



صورة ورقة من كتاب القانون في الطب
لابن سينا



صورة ورقة من كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم
لأبي ريحان البيروني



صورة ورقة من ديوان علي شيرنوائي
وهو من أنفس محتويات الخزانة

بقي أن أشير إلى أنه سبقني إلى زيارة خزانة المخطوطات في معهد أبي ريحان البيروني بطشقند عدد كبير من الأساتذة والباحثين والمهتمين بشؤون المخطوطات العربية والشرقية، كالعلامة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب[11]، والعلامة الدكتور صلاح الدين المنجد، والصديق الدكتور محمد مطيع الحافظ، والصديق الدكتور عبد الرحمن فرفور.

---

[11] المتوفى سنة(١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م) وكان مفخرة تونس في العصر الحديث. تنظر ترجمته في "الأعلام" (٢/ ١٨٧) و"معجم المؤلفين" (١/ ٥٤٢) طبع مؤسسة الرسالة ببيروت.